

صورة المرأة "في المجتمع الأندلسي" في عهد الموحدين (536-668هـ)

* رضى عمران
* محمد أبوزر خليل

Abstract

The women occupied a prominent status in the Western Society since the establishment of Almoravids and their participation became obvious and clear in several areas, beside that their prior, first and important duty was educating young people and overseeing the management of houses. Women were also involved in the council of the tribe and they also have controlled and influenced of their men even they have reached the respect that many of the Moravidaian Leaders & Lords of the states were styled with the names of their mothers. But, in the days of Almohads women didn't enjoy such powers and freedom that they had enjoyed in the era of Almoravids.

So, this article is a general study of the status of women during Almohads Era and also draws an attention that what changes they brought in the upbringing of women to their character and place in the Islamic society.

Keywords: Andalusian Society, The Status and role of women, In Government and Politics.

صورة المجتمع الأندلسي في عهد الموحدين:

في نحو سنة 93هـ - 710م اندفع العرب في موجة فتوحاتهم تستهويهم بلاد طالما استهوت الفاتحين و الغزاة من قبلهم، بلاد تقع في الجنوب الغربي من القارة الأوربية قد جباها الله طبيعة جميلة، و تربة خصبة، و سماء معتدلة الأجواء، و نثرت فيها يد الفن على ممر العصور أبنية شاهقة، و قصوراً رائعة، آيات بينات في الهندسة و الزخرفة، و قد سميت بالأمس أندلس و هي تسمى اليوم إسبانيا. ضجت بلاد أفريقيا الشمالية بالعرب الفاتحين، و لم يكن بينهم و بين إسبانيا إلا قفزة بحر الزقاق، تحفز لها موسي بن النصير، و استأذن لها الوليد، فسير مولاة طارق بن زياد على رأس جيش جرار أكثر من برابرة المغرب؛ فاندفع طارق كالعاصفة و تغلب على لذريق في معركة وادي بكة سنة 711م، و راح يفتتح بلداً إثر بلد، و قد لحق به موسي بن نصير، إلى أن دوخ الملوك، و أخضع العباد، و رفع لواء بني أمية على كل جبل و فوق كل واد، و إذا الأندلس إقليم من أقاليم الإمبراطورية العربية، يحكمها ولاة من بني أمية إلى سنة 755م، و إنتشرت الفتن و الاضطرابات في عهد الولاة، و قام النزاع بين عرب الشمال و عرب الجنوب من جهة، و بين العرب و البرابرة من جهة أخرى.

*الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية بجامعة بهاء الدين زكريا ملتان.

**الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية، جامعة بهاء الدين زكريا، ملتان

و في تلك الأثناء أنتقل الحكم في الشرق (العرب) من يد الأمويين إلى يد بني العباس، و فتك العباسيون ببني أمية فتكاً ذريعاً، فنجا من سيفهم عبد الرحمن بن هاشم بن عبد الملك بن مروان، و توجه شطر الأندلس، و دخل قرطبة، و أستبد بالأمر سنة 755م، و جعل قرطبة عاصمة لملكه، و بنى فيها القصر و المسجد و الجامع، و نادي بنفسه أميراً للمؤمنين، و كان عهد بني أمية في الأندلس عهد ازدهار و رقي و حضارة، و قد امتد إلى سنة 1031م، و أشتهر فيه الخليفة عبد الرحمن الثالث (912_961) صاحب الأفضال الكبيرة على العلم و العمران.

شهد المغرب الأقصى في النصف الأول من القرن الخامس الهجري حركة دينية، هي حركة المرابطين التي انبثقت في الصحراء جنوب المغرب الأقصى و غيرت من وجه الحياة في شتي صورها سياسية كانت أو إدارية أو إقتصادية أو إجتماعية، و امتد تأثير حركة المرابطين إلى الأندلس حيث خضعت لسلطة المرابطين.

و ما إن أزدهرت حركة المرابطين، و تأسست دولتهم في المغرب الأقصى و تمكن سلاطهم، و أستقرت أحوالهم حتى أندلعت حركة دينية أخرى معارضة و هي حركة الموحدون بزعامة المهدي بن تومرت و كانت ترسي إلى القضاء على دولة المرابطين و إقام نظام جديد.

و بعد صراع مرير، نجح الموحدون في الإطاحة بدولة المرابطين، و إقامة حكم جديد، و من ثم كان من الضروري التعرض للحياة السياسية للمغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين، و حتى نهاية حكم الناصر الموحدي سنة 610/1213م لما للأوضاع السياسية من أثر في حياة السكان سواء من الناحية الإدارية أو الإقتصادية و الإجتماعية.

أختلف موقف الموحدون عن المرابطين فبينما أعترف المرابطون بالخلافة العباسية، كان الموحدون على العكس من ذلك غير معترفين بالخلافة العباسية بل اعتبروا أنفسهم خلفاء، و أن مركز الخلافة مراكش و ليس بغداد.

و هكذا شهد المغرب الأقصى في ظل دولتين متعاقبتين موقفين مختلفين من الخلافة: موقف المرابطين الذي دعم و جوده الروحي و السياسي بالإتصال بالخلافة العباسية معترفاً بما طالباً تأييدها و رضاها، و موقف الموحدي الذي لم يعترف بالخلافة العباسية، و في نفس الوقت مقيماً لأول مرة في تاريخ المغرب الأقصى مركزاً للخلافة.

المرأة:

احتلت المرأة مكانة مرموقة في المجتمع المغربي منذ قيام المرابطين. و صارت لها مشاركة واضحة في كثير من المجالات، و ذلك بجانب وظيفتها الأولى و هي تربية النشء و الإشراف على إدارة المنزل.

مكانة و دور المرأة في المجتمع الأدبي و الإجتماعي:

شهد المسرح الجغرافي للمغرب الأقصى في القرنين الخامس و السادس من الهجرة عناصر

صورة المرأة "في المجتمع الأندلسي" في عهد الموحدين (536هـ - 668هـ)

متعددة من السكان، و جنسيات مختلفة، و في مقدمة هذه العناصر قبائل البربر و هم السواد الأعظم من السكان، و أصحاب البلاد الأصليين و عاش معهم العرب الذين لعبوا دوراً واضحاً في الأحداث و صار لهم دور مؤثر في عهد الموحدين و بجانب البربر و العرب كانت هناك أقليات من السودانيين و الروم و الأتراك. و تتمتع المرأة دوراً بارزاً و فرصة ممتازة خلال هذه الفترة، حيث كانت المرأة تتمتع بوضع كريم في القبيلة الصنهاجية إذ كانت تشترك في مجلس القبيلة و تشارك في الأمور الهامة⁽¹⁾. و كانت للمرأة سيطرتها و نفوذها على الرجل، و قد بلغ من احترامهم لها أن كثيراً من قادة المرابطين و امراء الدولة كانوا يلقبون بأسماء إمهاهتن تقديراً لدور المرأة في مجتمع المرابطين يقول النووي "واستقامت له الأمور _ أي ليوسف بن تاشفين _ و تزوج زينب بنت إبراهيم زوجة أبي بكر بن عمر، و كانت حظية عنده و أميرة عليه و كذلك جميع الملتهمين ينقادون لأمر نسايتهم و لا يسمون الرجل إلا بأمه فيقولون ابن فلانة و لا يقولون ابن فلان"⁽²⁾.

و من هنا وجدنا أبا عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين و هو أخ الأمير المسلمين علي و كان من أعظم قادة المرابطين يعرف بابن عائشة⁽³⁾ و كذلك عبد الله بن فاطمة من أبرز قادة المرابطين و دخل في كثير من المعارك بالأندلس و أحرز فيها عدة انتصارات كان معروفاً بأبن فاطمة⁽⁴⁾ و أيضاً محمد و يحيى أبناء علي بن يوسف المسموي، و قد تزوج والدهما على بامرأة تسمى غانية نسباً إلى أمهما⁽⁵⁾ و عرفا ببني غانية و قد كانت لهما مكاتهما في الدولة المرابطية ثم تزعمهما لثورة مسلحة ضد الموحدين استغرقت وقتاً كبيراً و جهداً عظيماً من خلفاء الموحدين، و داعية الموحدين محمد بن تومرت اشتهر بنسبته: ابن تومرت و هو اسم امرأة، و ربما كان هذا اسم إحدى جداته أطلق عليه و من ثم اشتهر به⁽⁶⁾ و هذا كله يشير إلى مكانة المرأة و إعتزاز الرجال بانتحال أسماء أمهاتهم.

و كانت المرأة تتمتع بقسط وافر من الحرية حتى أنها كانت تختلط بالرجال في الأماكن العامة و المناسبات المختلفة، مما جعل ابن تومرت عند عودته من رحلته يستنكر هذا الوضع في أكثر من مكان، فعند نزوله ببجاية في عيد الفطر وجد إختلاط الرجال بالنساء مما دفعه للتفريق بينهم بعضاه⁽⁷⁾ يقول ابن القطان "تم حضر - أي ابن تومرت - عيداً فرأى فيه من إختلاط الرجال بالنساء و الصبيان المتميزين المتكحلين ما لا يحل فزجرهم و غير ذلك عليهم، فوقع لأجل ذلك نفرة أستطال فيها الشر و سلبت النساء حليها و قام الهرج فسأل العزيز عن سبب ذلك فعرف بأنه لا سبب له إلا الفقيه السوسي"⁽⁸⁾.

و بذلك دافع المجتمعون من الرجال و النساء عن عادة متأصلة بينهم حتى أنهم قاوموا فعل ابن تومرت. كذلك حين نزل ابن تومرت بتلمسان وجد النساء يستقين الماء و بالقرب منهن الرجال يتوضون فقال: "ليس هذا منكر النساء مع الرجال مخلوطين"⁽⁹⁾ و حين نزل بناحية قلال و هي إحدى الأماكن التي عبرها في طريقه سمع صراخ الرجال و النساء نتيجة اللهو و اللعب فلما نهاهم عن ذلك كان جوابهم

"هكذا السيرة عندنا"⁽¹⁰⁾، ولما وصل إلى مكناسة شهد اجتماع الرجال و النساء تحت شجرة لوز فقام المهدي بتفريقهم⁽¹¹⁾ هذا كله يشير إلى تمتع المرأة في هذا العهد بحرية الاختلاط و مشاركة الرجال في المناسبات.

و يتصل بهذا موضوع سفور المرأة و حجابها، و يبدو أن المرأة الأندلسية بجانب تمتعها بحُرِّيَّتِهَا كانت أيضاً سافرة إذ أتخذ الرجال اللثام بينما النساء ظللن سافرات⁽¹²⁾ و يبدو أن عادة سفور المرأة. نشأت معهن في مواطنهن الأولى في الصحراء و ما زالت إلى الآن في مجتمع الطوارق⁽¹³⁾ و هنا حين عاد ابن تومرت اعترض على سفور أخت أمير المسلمين علي بن يوسف حين قابلها في إحدى طرقات مراکش و معها جوارياها. و كلهن سافرت فزجرهن و ونجهن على هذا الصنيع⁽¹⁴⁾ يقول النويري "و لم يزل المهدي يلزم الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر إلى أن وصل إلى مراکش و هي دار مملكة علي بن يوسف بن تاشفين فرأى فيها من المنكرات أكثر مما عاينه في طريقة إذ رأى أخت أمير المسلمين في موكبها و معها عدة من الجوارى الحسنان، و هن مسفرت، و كانت هذه من عادتهن فحين رأى النساء كذلك أنكرو عليهن و أمرهن بستر وجوههن و ضرب هو و أصحابه دوابهن فسقطت أخت أمير المسلمين عن دابته فرفع أمره إلى أمير المسلمين علي بن يوسف⁽¹⁵⁾، و في رواية العمري التي قابلها ابن تومرت هي زينب ابنة أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين⁽¹⁶⁾، و إعتراض ابن تومرت يشير إلى أن موضوع السفور لم يكن عاماً بالنسبة لنساء المجتمع و إلا ما كان هناك وجه للإعتراض عليه. و ربما كان هذا خاصاً بالمرأة المرابطية إذ أن هذا شيع مألوف لديها و من هنا كان نقد ابن تومرت و هجومه على نساء المرابطين دون غيرهن من نساء المجتمع.

المرأة في عهد الموحدين:

لم تتمتع المرأة بمثل النفوذ و الحرية التي كانت تتمتع بها في الدولة المرابطية، لأن ابن تومرت "داعي الموحدين" كان من الذين يكرهون اختلاط الرجال و النساء كراهة إلى حد ما، و لم تبق للمجتمع الحرية التي كانت لها من قبل، و لكن هذا الحد من الحرية لم يمنع الموحدين في مناسبات مختلفة من إظهار تقديريهم و إحترامهم للمرأة، ففي إحدى معارك الموحدين ضد المرابطين سقط كثير من الأسرى في يد الموحدين و منهم عدد كبير من النساء و قد قامت إحداهن و هي تاما كونت ابنة "ينتيان بن عمر" بالتحدث مع عبد المؤمن بن علي و تذكيره بصنيع أبيها مع المهدي حين تشفع فيه عند أمير المسلمين علي بن يوسف فأطلق سراحها، و هنا أمر عبد المؤمن بإطلاق سراحها، فرفضت حتى يطلق معها كل النساء و كان عددهن أربعمائة، فامتثل عبد المؤمن لها و أمر بإطلاقهن معززات حتى معسكر المرابطين⁽¹⁷⁾.

و كذلك حين استشنع أبو شعيب المتصوف عند الخليفة عبد المؤمن في إطلاق سراح نساء علي بن يوسف و نساء أولاده فاستجاب،⁽¹⁸⁾ و في بعض الأحيان اتخذ الموحدون من السبايا زوجات لهم يقول البيهقي "و قسّم الخليفة الغنائم - بعد انتصار الموحدين على المرابطين في إحدى المعارك

صورة المرأة "في المجتمع الأندلسي" في عهد الموحدين (536هـ - 668هـ)

وأخذنا فيها مائة بكر و كن عندنا مؤمنات فقسمن الخليفة على الموحدين و تزوجهن، و بقيت فاطمة بنت يوسف الزناتية و بنت ماكسن ابن المعز صاحب مليلة فرمى الخليفة القرعة مع أبي إبراهيم على فاطمة فأخذها أبو إبراهيم و أخذ الخليفة بنت ماكسن بن المعز أم الأمير إبراهيم و الأمير اسماعيل⁽¹⁹⁾ كذلك أكرم الناصر الموحدي سبانيا ميورقة حين أمر باطلاق سراحهن و مساعدتهن بالأموال على الزواج⁽²⁰⁾ و نفس التكريم و جده نساء العرب الهلالية حين وقعن في الأسر من الخليفة عبد المؤمن فقد وکل بهن الخدم لخدمتهن حتى و صلن إلى مراكش فأنزلهن المساكن الفسيحة و أجرى عليهن النفقات الواسعة⁽²¹⁾.

إلا أن هذا لم يكن دأب الموحدين في تكريم السبايا فقد يحدث أن يبعن كما تباع السلع و الأمتعة و هذا ما حدث لنساء كزولة و لمطة اللاتي وقعن في أسر الموحدين حيث باعهن الموحدون على أحد أبواب مراكش⁽²²⁾.

و يبدو أن بعض تجار الرقيق لا يلتزمون بأحكام الشرع و يسرعون في بيع النساء، و من هنا صدرت رسالة من الخليفة عبد المؤمن سنة 543هـ / 1148م، تشير إلى هذا الخطاء حين قال "و أنه أعلمنا بأن من يرضى تلك الفواحش بما يرضاه و يستبيحه و لا يبالي أحسن الفعل فعله أم قبيحه يتباع المرأة و يبيعه دون استبراء و يبعث في ذلك بكل على الله تعالى و اجترأ و لا يتحفظ من موقعة الزنا المحض و مخالفة الواجب مع الفرض"⁽²³⁾ و قد بين الخليفة علاج ذلك بقوله "فلا سبيل لأحد ممن هنالك أن يتباع شيئاً منهم أو يبيع حتى يستأذن الحاكم لأمره منكم و الشيوخ لئلا يذهب الحق في ذلك و يضع... و كذلك فليتوقفوا عن بيع النساء في جميع ما تغمونهن منهن في تلك الأرجاء حتى تخاطبون بأصل أمرهن و كفيته، و تعلمونا من ذلك بجيلته ليرسم لكم فيه ما يكون عليه اعتمادكم و يجري إليه اقتصادكم"⁽²⁴⁾.

و قد اشتهر المنصور الموحدي بإنصابه للمرأة يقول ابن خلكان في صفات المنصور "و يقف للمرأة و الضعيف و يأخذهم بالحق"⁽²⁵⁾ و من هذا يتضح أن المرأة تمتعت بمكانة طيبة و نالت التقدير و الاحترام من ولاة الأمر بالمغرب الأقصى.

ثقافة المرأة:

في الدولة المرابطية كانت هناك تميمة بنت يوسف بن تاشفين أخت علي بن يوسف بن تاشفين و تكنى أم طلحة و كانت راجحة العقل مشهورة بالأدب و الكرم⁽²⁶⁾ و أيضاً حواء بنت تاشفين - و كان تاشفين أختا ليوسف بن تاشفين لأمه - كانت أدبية شاعرة جليلة ماهرة، و كانت تحضر المجالس الأدبية و تجمع الشعراء و الكتّاب و تحادثهم⁽²⁷⁾.

و بجانب الثقافة و المعرفة فإن بعض الأميرات قد تدرين على الضرب و الطعن حتى أن إحداهن و هي فانو بنت عمر بن يتيان ظلت تقاتل الموحدين على أسوار مراكش حتى قتلت، و قد أعجب الموحدون بشجاعته و صمودها يقول البيهقي "فاستفتحت و دخلت بالسيف و كان القتال على القصر

حتى الظهر، و لم يدخل حتى ماتت فانو بنت عمر بن يتيان و كانت ذلك اليوم تقاتل الموحدين في هيئة رجل، و كان الموحدون يتعجبون من قتالها و من شدة ما أعطاها الله من الشجاعة و هي بكر فلما ماتت حينئذ دخل القصر و لم يعرف الموحدون هل هي امرأة أم لا حتى ماتت" (28).

فإذا ما انتقلنا إلى الدولة الموحدية وجدنا اشتغال كثير من النساء بالعلوم المختلفة، و في فترة نشر الدعوة شاركت المرأة في الاستماع إلى كلام ابن تومرت و نصائحه فحين أحسّ ابن تومرت بدنو أجله، جمع الرجال و النساء للاستماع إلى نصائحه و وعظه يقول ابن القطان "و ذلك أنه لما تمادى مرضه - أي مرض ابن تومرت - خرج ركباً على بغلته و جمع الناس ليسمع كلامه و وداعه و أمر أن يكون الرجال أمامه و النساء خلفه ليسمع كلهم كلامه..." (29).

و من بنات الخلفاء المتفقات التي أشارت إليهن المراجع الأميرة زينب بنت الخليفة يوسف بن عبد المؤمن درست علم الأصول على أبي عبد الله بن إبراهيم و كانت عالمة صائبة الرأي فاضلة (30)، و من الشهيرات حفصة بنت الحاج الركوانية و هي من شاعرات الاندلس و قد مدحت الخليفة عبد المؤمن بن علي (31)، ثم قامت بالتدريس في قصر الخليفة المنصور الموحدي لنساء القصر، و أم خيرونة الفاسية التي كانت تحضر مجلس عثمان السلاحي إمام أهل فاس في الاصول و قد اقترحت عليه تأليف كتاب في مذهب الأشاعرة فألف العقيدة البرهانية (32) و كذلك فاطمة بنت عبد الرحمن فقد درست أصنافاً مختلفة من الكتب إذ حفظت القرآن بقراءة نافع و كتاب شهاب الأخبار في الحكم و الأمثال و الآداب للقاضي محمد بن سلامة و عدة كتب في اللغة و صحيح مسلم في الحديث و في التأريخ سيرة ابن اسحق و في الأدب الكامل للمبرد (33)، و غير هؤلاء من النساء اللاتي حرصن على التزود من العلوم الإسلامية و الدراسات الأدبية المنتشرة في ذلك العصر.

نفوذ المرأة في الحكم و السياسة:

أسهمت المرأة المرابطية بذكائها و نصائحها في تأسيس الدولة المرابطية و السيطرة على ولاية الأمر بها. زوجة يوسف بن تاشفين "زينب النفزاوية" التي كانت امرأة حازمة لبيبة ذات رأي و عقل و معرفة بالأمر (34) و لفرط ذكاها أطلقوا عليها لقب الساحرة (35) و قد أشارت المراجع إلى النصائح التي أسدتها زينب إلى زوجها يوسف بن تاشفين مع المعونات المادية التي قدّمتها له حتى استطاع أن يثبت أقدامه في مقعد الحكم و استطاعت زينب بهذه الوسيلة أن تتمكن من قلب زوجها و تصير لها الكلمة في البلاد (36) و كان يوسف بن تاشفين يعترها و يصرح في مجالسه بمكانتها و فضلها يقول ابن عذاري "و في هذه السنة - سنة 469هـ - ولد للأمير يوسف بن تاشفين ولده الفضل من زوجته زينب النفزاوية و كانت أحب مالهديه، امرأة غالبية عليه، ليس... (37) و لا كان أمر إلا أمرها، و كان يقول لبني عمه إذا خلاهم و ورد ذكرها: إنما فتح البلاد برأيها" (38).

و قد برز مدى سلطة زينب أنها أمرت بعزل أحد القضاة لأنه مدح "حواء" زوجة سير بن أبي بكر

صورة المرأة "في المجتمع الأندلسي" في عهد الموحدين (536هـ-668هـ)

بالجمال وفضلها على سائر النساء، فجاءها الرجل مستعظفاً وظل على باها أياماً، باع كل ما يملك لينفق منه، إلى أن سمحت له بالمشول بين يديها يقول النويري "قالت - أي زينب لخادمها - فأتني به الساعة فأحضره إليها فقالت له تمدح زوجة سير و تفضلها على سائر النساء و خرجت في وصفك لها عن الحد، و زعمت أن ليس في الأرض أجمل منها، و ما هذه المنزلة القضاء، و لا يليق بك أن تترك نفسك في هذه المثلة فقال ارجعاً:

أنت بالشمس لاحقه
فمتى ما مدحتها
و هي بالأرض لاصقة
فهي من سير طالقة

فقالت له يا قاضي طلقتهما منه قال نعم ثلاثة و ثلاثة و ثلاثة، و فضحكت حتى افتضحت و قالت والله لا شتم لها قفا أبداً و كتبت إلى يوسف برده إلى القضاء فردده "(39)، و هكذا لعبت الغيرة دورها في عزل القاضي ثم رده بعد ذلك حتى إذا تولى أمير المسلمين علي بن يوسف، ازداد نفوذ النساء و صارت لهن السيطرة على الحياة العامة في البلاد يصور ذلك المراكشي بقوله "و استولى النساء على الأحوال و أسندت إليهن الأمور و صارت كل امرأة من أكابر لمتونة و مسوفة مشتملة على كل مفسد و شرير و قاطع سبيل، و صاحب خمر و ماخور، و أمير المسلمين في ذلك كله يتزيد تغافلة و يقوى ضعفه"(40)، و صارت زوجة أمير المسلمين تتدخل في عزل الولاة، و ذلك ما فعلته والدة سير في عزل تاشفين عن تولي إمارة الأندلس يقول ابن عذاره "و ذكروا أن والدة سير هي التي غارت بأخيه تاشفين لئلا يكبر على ابنتها و يملك في بلاد الأندلس فكانت سبب عزله و وصوله- أي إلى مراكش"(41) فلما جاء تاشفين إلى مراكش صار في ركاب أخيه سير يقف على بابه كأحد حجابيه(42) و كان هذا من تأثير قمر والدة سير، فلما مات ابنها سير و كان ولياً للعهد حاولت نقل ولاية العهد إلى اسحق دون تاشفين و لم يتحقق لها ذلك بسبب صغر سن اسحق(43) مع اختيار الناس لتاشفين.

و كان هذا التدخل في شؤون الدولة مع ضعف أمير المسلمين علي بن يوسف أمام سيطرتهم عاملاً من عوامل ضعف الدولة المرابطية مما أدى بها إلى الانهيار و السقوط(44)، و قد أشار المراكشي إلى أن عوامل إختلال أحوال الأندلس في أواخر أيامهم سيطرة النساء على مقاليد الأمور "فأما أحوال جزيرة الأندلس فإنه لما كان آخر دولة أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف، اختلت أحوالها اختلالاً مفرطاً، أوجب ذلك تخاذل المرابطين و تواكلهم، و ميلهم إلى الدعة و إثارة الراحة و طاعتهم النساء فهانوا على أهل الجزيرة و قلوباً في أعينهم، و احترأ عليهم العدو"(45).

حتى إذا قامت الدولة الموحدية لم يكن للمرأة في المجتمع الموحدى نفوذ مثلتها في الدولة المرابطية، و تدخلها في الشؤون السياسية بذلك الشكل الواضح و قد وجدنا منها مشاركة في الشؤون السياسية حين حضرت مبايعة القبائل لعبد المؤمن بن علي يقول البيدق: "و صاح بالقبائل-أي عبد المؤمن بن علي بعد رجوعه من غزو كزولة- و ضم الموحدين و جعل المجلس فاستعمل ركائز و حال بين الرجال و النساء ثم وعظ الناس و

قال لهم في آخر كلامه بقى عندكم عهد بيعة المهدي...⁽⁴⁶⁾ و لم توضّح الرواية هل قام النساء بالمبايعة أيضاً؟ و إنما اكتفت الرواية "فمد يده و بايعوه - أي أصحابه - ثم تبعه سائر الناس حتى الليل و كانت البيعة ثلاثة أيام متوالية...⁽⁴⁷⁾ و يرجح أن النساء اشتركن في البيعة لحضورهن هذا الاجتماع يضاف إلى ذلك أن كلمة الناس التي وردت في النص عامة تشمل الرجال و النساء.

و احتلت زوجة الخليفة يوسف بن عبد المؤمن من نفسه مكانة طيبة، و هي ابنة عدوه محمد بن سعد أحد المتغلبين على شرق الأندلس و ذلك بعد دخوله في طاعة الموحدين، فأكرمه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن و تزوج من ابنته، و استطاعت هذه الزوجة أن تتغلب عليه حتى كان الناس يضربون المثل بحب الخليفة بالزرقاء المردنيشية⁽⁴⁸⁾ و استطاعت بهذه المنزلة أن تشير على زوجها بتعيين بعض قرابتها في بعض المناصب يقول لسان الدين بن الخطيب " و اتفق لقومها من البخت بسببها ما لم يتفق لثائر و لا مخالف ملك من إعادته إلى ملكه فأنفذ تقدم الأمير أبي الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش على بانسية و جهاتها و قدم غانم بن محمد على أساطيل العدو بسبته و أمسك هلالا بحضرته أثير الرتبة لديه⁽⁴⁹⁾ غير أن هذا النفوذ للمرأة الموحدية لم يبلغ الدرجة التي وصلت إليها المرأة في العهد المرابطي.

بعض الأعمال التي شغلت بها المرأة:

قامت المرأة في مجتمع المغرب الأقصى خلال فترة البحث بدورها الأساسي و هو رعاية الأسرة و الإشراف على شؤون البيت و تربية الأبناء، إلا أنه بجانب ذلك اشتغل بعضهن ببعض الأعمال رغبة في الكسب، و في بعض الأحيان يكون هذا ناتجاً عن عادة متأصلة في بعض القبائل و هي دفع النساء للعمل كنساء أهل السوس و أغمات، يقول البكري " و أهل السوس و أغمات أكثر الناس تكسباً و أطلبهم للرزق يكلفون نساءهم و صبياتهم التحرف و التكبس⁽⁵⁰⁾".

و قد اشتغل بعضهن تغزل الصوف يقول ياقوت " و نساؤهم أي نساء سحلماسة يد صناع في غزل الصوف فهن يعلمن منه كل حسن بديع من الأزرق يفوق القصب الذي بمصر، يبلغ ثمن الإزار خمسة و ثلاثين ديناراً أو أكثر⁽⁵¹⁾". كذلك نساء فاس كن يشتغلن بالتطريز و حياكة الملابس⁽⁵²⁾. كذلك قامت بعض النساء ببيع اللبن فعند مرور ابن تومرت في طريق عودته بإحدى القرى وجد النساء متزينات يعين اللبن⁽⁵³⁾.

و نستيجة لحصول بعضهن على ثقافة عالية، كالعالمة حفصة بنت الحاج الركوني، و كانت أستاذة وقتها فإنها قامت بالتدريس لنساء المنصور الموحدى في قصره و توفيت بحضرة مراكش سنة 580هـ — 1184م أو سنة 581هـ — 1185م⁽⁵⁴⁾، و كذلك اشتغلت بعض النساء بالطب و منهن أخت الطبيب أبو بكر بن زهر و ابنتها إذ كانتا بارعتين في الطب و كانتا تداويان نساء المنصور الموحدى⁽⁵⁵⁾. يقول ابن أبي أصيبعة " و كانت أخته - أي أخت أبي بكر ابن زهر- و ابنتهما عالمتين بصناعة الطب و السداوة و لهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداوة النساء و كانتا تدخلان إلى نساء المنصور و لا يقبل - تتولى قبالة نساء أهله أي توليدهن - للمنصور و أهله ولدا إلا أخت الحفيد أو بنتها لما توفيت أمها⁽⁵⁶⁾ و هكذا لم يكن نشاط المرأة محصوراً في أعمال البيت و

إتّما تعداه إلى الحياة العامة حيث شاركت المرأة في بعض الأعمال.

الهوامش

- (1) قيام دولة المرابطين: د. حسن محمود، ص52.
- (2) نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري. 80/22، رقم549، دار الكتب.
- (3) نظام الجمال: أبو علي الحسين بن القطان، ص8، ط:1960م، تطوان.(تحقيق: د. محمود علي مكّي).
- (4) نفس المرجع.
- (5) الحلة السيرة: ابن الأبار، 205/2.
- (6) الاسلام في المغرب و الأندلس: ليفي بروفنسال، ص265، ت.د. محمود السيد سالم.
- (7) أخبار المهدي بن تومرت و ابتداء دولة الموحدين: أبو بكر الصنهاجي البيذق، ص52، ط:1928م، باريس.
- (8) نظام الجمال: أبو علي الحسين بن القطان، ص41، ط:1960م، تطوان.(تحقيق: د. محمود علي مكّي)
- (9) أخبار المهدي: البيذق، ص61.
- (10) نفس المرجع ص62-63.
- (11) نفس المرجع ص65.
- (12) المغرب عبر التاريخ: حركات، ص233.
- (13) تأريخ فلسفة الاسلام في القارة الإفريقية: د. يحيى هويدي، 211، 21/1.
- (14) (أ) عقد الجمال: العيني، 773/20.
- (15) (ب) العبر: ابن خلدون، 227/6.
- (16) نهاية الأرب: النويري، 722/مجلد2/ص:83.
- (17) مسالك الأبصار: العمري، 39/15.
- (18) أخبار المهدي: البيذق، ص88.
- (19) المعزى في أخبار أبي يعزى: أحمج بن القاسم التادلي، ص11، مخطوط، رقم:1249، دارالكتب،
- (20) أخبار المهدي: البيذق، ص94.
- (21) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد المراكشي، ص315، ط:1939م، القاهرة (تحقيق: محمد سعيد العريان و محمد العربي العلمي)

- (21) الكامل في التاريخ: أبو الحسن علي بن الأثير، 41/9، مطبع الإستقامة، بدون تاريخ
- (22) أخبار المهدي: البيهقي، ص118.
- (23) نظام الجمان: أبو علي الحسين بن القطان، ص160.
- (24) نفس المرجع السابق، ص160.
- (25) وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان. 6/10، ط:1، سنة 1948م، النهضة المصرية.
- (26) جذوة الإقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس: أحمد بن محمد ابن القاضي، ص105-106، ط:1209هـ، حجر فاس.
- (27) البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب: ابن عذاري المراكشي، 57/4، تحقيق د.إحسان عباس، ط:1967م، بيروت.
- (28) أخبار المهدي: البيهقي، ص103.
- (29) نظام الجمان: ابن القطان، ص126.
- (30) (أ) مظاهر الحضارة الغربي: عبد العزيز بن عبد الله. 109/2، ط 1962م، الدار البيضاء.
- (ب) العلوم و الآداب و الفنون على عهد الموحدين: محمد المنوني، ص33، ط 1950م، تطوان.
- (ج) البنويع المغربي: عبد الله كنون. 144/1، ط 1961م، بيروت.
- (31) (أ) المغرب في حلى المغرب: ابن سعيد الأندلسي. 138/2، ط1955م، دار المعارف.
- (ب) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب: أحمد بن محمد المقرئ. 303/5، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط1949م، مصر.
- (32) (أ) مظاهر الحضارة الغربي: عبد العزيز بن عبد الله. 109/2،
- (ب) العلوم و الآداب و الفنون على عهد الموحدين: محمد المنوني، ص35.
- (33) عصر المنصور الموحد: محمد الرشيد ملين، ص169، ط بدون تاريخ، مطبع الشمال الأفريقي.
- (34) (أ) الأنسي المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس: أبو الحسن علي بن عبد الله ابن أبي زرع. 32/2، تحقيق محمد الهاشمي الفيلاي، ط1936م، الرباط.
- (ب) الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي. 21/2، تحقيق جعفر الناصري و محمد الناصري، ط1954، الدار البيضاء.
- (35) (أ) نفس المرجعين السابقين و نفس الصفحات
- (ب) مجهول: تواريخ مدينة فاس، ص24، ط:1878م، سلفارتوكوسا، بالرم.

- (36) أ) الأنيس: ابن أبي زرع. 33/2-34، ت الفيالي.
 ب) البيان المغرب: ابن عذارى. 22/4، ت د. إحسان عباس.
 ج) أعمال الأعلام فيمن ببيع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام: الوزير محمد لسان الدين ابن الخطيب، ص 232-233، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختار العبادي و الأستاذ محمد إبراهيم الكتاني، ط 1964م، الدار البيضاء.
 د) العبر و ديوان المبتداء و الخير: عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون. 46/7، ط 1284هـ، القاهرة.
- (37) البيان المغرب: ابن عذارى. 22/4-23، ت د. إحسان عباس.
- (38) أ) نهاية الأرب: النويري، 80/22.
 ب) الكامل في التأريخ: ابن الأثير، 238/8، ط بدون تاريخ الإستقامة.
- (39) نهاية الأرب: النويري، 80/22.
- (40) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد المراكشي، ص 177.
- (41) البيان المغرب: ابن عذارى، 97/4، ت د. إحسان عباس.
- (42) نفس المرجع.
- (43) نفس المرجع.
- (44) أ) المغرب عبر التاريخ: إبراهيم حرركات، ص 235، ط 1965م، الدار البيضاء.
 ب) التاريخ الإسلامي: د. أحمد شلبي. 183/4، ط 1969م، النهضة المصرية.
 ج) البنوغ المغربي: عبد الله كتون. 103/1، ط 1961م، بيروت.
- (45) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: عبد الواحد المراكشي، ص 208.
- (46) أخبار المهدي بن تومرت و ابتداء دولة الموحدين: أبو بكر الصنهاجي البيذق، ص 85.
- (47) نفس المرجع.
- (48) أعمال الأعلام (القسم الثاني): ابن الخطيب، ص 311-312، تحقيق ليفي برونفسال.
- (49) المرجع السابق.
- (50) المغرب في ذكر أفريقيا و المغرب: أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري، ص 123، تحقيق دي سلات، ط 1911م، باريس.
- (51) معجم البلدان: أبو عبد الله ياقوت الحموي / 49/3، ط 1960م، طهران.
- (52) فاس في عصر بني مرين: روجية لوتورنو / ص 134، ترجمة د. نقولا زيادة، ط 1967م، بيروت.
- (53) أخبار المهدي: البيذق، ص 61.

- (54) الإحاطة في أخبار غرناطة: الوزير محمد لسان الدين ابن الخطيب، 499/1-501، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط1900م، دارالمعارف.
- (55) (أ) الطب و الاطباء بالمغرب: عبد العزيز بن عبد الله، ص30، ط1960م، الرباط.
(ب) تاريخ البيمارستانات في الاسلام: د.أحمد عيسى، ص16، ط1939م، دمشق.
(ج) عصر المنصور الموحيدي: محمد الرشيد ملين، ص223-224.
- (56) العلوم و الآداب و الفنون في عهد الموحيدين: محمد المنوني، ص128.